Translated excerpt

**Michael Roher**
***Tintenblaue Kreise***

luftschacht Verlag, Wien 2017
ISBN 978-3-903-08119-2

pp. 7-24

**ميشائيل روهِر**
**دوائر الحبر الزرقاء**

***هبة شلبي***

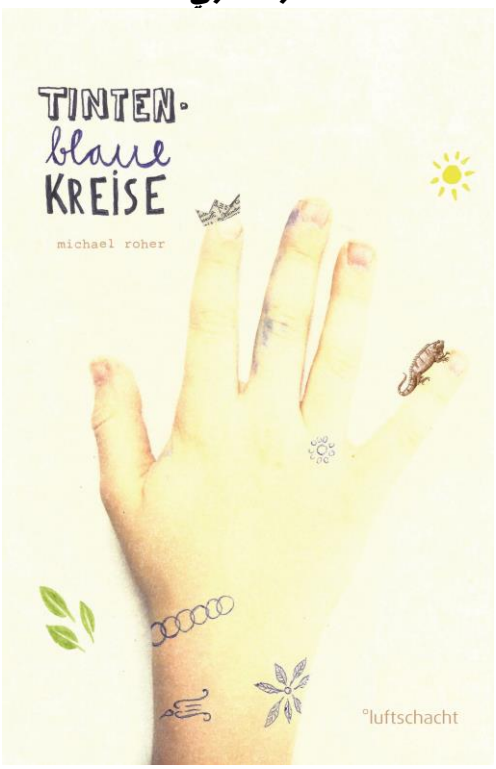


© 2018 Litrix.de

كلما فكَّرت في فيليب، انتهى تفكيري في كل مرة بتساؤلات أكثر من المرة التي قبلها.

فأنا لم أسمع منه شيئًا منذ ثلاثة أسابيع، أي منذ ما حدث مع تِنكا.

كانت الشمس الحارقة تلسع مؤخرة عنقي بينما أنا جالسة هنا أعضعض في شفاطة شايي المثلج وأتساءل عما إن كان "فيليب" يستمع إلى بريده الصوتي على الإطلاق.

أردتُ أن أسأله: "أسمعتَ رسائلي؟"

"هل رأيتَ ما كتبته لك بالخط السحريّ على الشجرة؟"

أو أقول له: "أتتذكَّر فوطة السفرة التي طويتها على هيئة مركب؟ أسميتُها "مالاكوف" ووضعتها على عتبة شباكي بالأعلى. يمكنها من هناك أن تشم رائحة البحر في بعض الأحيان."

ولكن "فيليب" ليس هنا.
لا يرد على مكالماتي. ولا يعيد اتصالاتي. رحل هكذا بكل بساطة.

وأنا جالسة هنا في الخارج أمام "كافيه إِجوانة" أراقب مكعبات الثلج وهي تذوب داخل الكوب وأحاول أن أستوعب كل ما حدث.

ولكن، أظنه من الأفضل أن أحكي لكم القصة من البداية ...

**الفصل الأول**

"بينه".
هذه أنا.

اسمي: "بينه زابينه موتس"
برجي: العقرب.
أكلتي المفضَّلة: الفجل الأحمر.
ثاني أفضل شخص في لعبة أطباق الورق الطائرة.
رسَّامة زخارف دقيقة متحمِّسة لفنها.
وأنا كذلك أروع طفلة في العالم. هذا رأي ماما على الأقل. وبابا أيضًا.

وهذا رأي "يوكِّل" العجوز أيضًا: "بينِه زابينِه... أنتِ أروع طفلة في العالم!"
ثم يبتسم لي ابتسامة خبيثة ويرش كمية كبيرة من السكر فوق رغوة الكابتشينو.

"يوكِّل" العجوز هو أحد زبائن الكافيه الدائمين. يأتي كل يوم في الصباح الباكر ويجلس في مكانه المعتاد بالقرب من النافذة ويشرب قهوته الساخنة شفطة شفطة، بينما ينظر من خلال النافذة إلى الشارع. وعادة ما يقضي "يوكِّل" وقته إما في قراءة الصحيفة أو في لعب الطاولة مع السيدة ألموت، لو كانت موجودة، أو مع بينِه زابينه، أي معي أنا. وأحيانًا يلعب بمفرده إذا كانت بينِه زابينِه مشغولة في واجباتها المدرسية مثلًا أو في تجربة طبلة ماما الجديدة أو خرجت تتمشى إلى الميناء لإطعام طيور النورس.

أو عندما يأتي "بِره".

يأتي "بِره" أيام الأربعاء.
أيام بروفات الفرقة.
يأتي ويشاور لبابا مرحِّبًا به ويطلب مشروبه: "واحد نعناع باللبن من فضلك!"
فيهز بابا رأسه موافقًا ويبدأ في صب الشراب الأخضر داخل الكوب.

© 2018 Litrix.de

ثم يقول: "واحد عصير معجون أسنان للأستاذ، حالًا!" بعد ذلك يضيف بابا اللبن إلى المشروب ويضعه على صينية فضية لأتمكن من حملها وتقديم المشروب.
"ممم، شكرًا "بينِه"!"
يقولها "بِره" ويأخذ شفطة من مشروبه ويمسح فمه بظهر يده.
وبعدها يقول: "يااه، يا له من مشروب رائع وخطير! أظن أنني أدمنته بالفعل!"
ثم يسحب كرسيّ بالقرب منه ويسألني: "أَلديكِ وقت؟"
فأهز رأسي بالإيجاب وأنا سعيدة، لأنني أعرف في هذه اللحظة ما على وشك الحدوث.
إنه طقسنا المعتاد.
أجلس بجانب بِره وألتقط قلمي الجاف من جيبي.
وأسأله: "أتريد شيئًا محددًا؟"
"ماذا يا ترى...؟" يفكر "بِره" قليلًا ثم يرد عليّ قائلًا: "ربما رسمة لبعض الكائنات البحرية؟"

نجلس أنا و"بره" في بعض الأحيان لأكثر من ساعة أزيِّن له ساعده بالأشكال والزخارف والرسومات وهو يشاهدني بينما أقوم بذلك.
أظل أرسم وأرسم حتى أغطي جلده تمامًا ولا أترك أية مساحة خالية الرسومات.

يعلِّق بِره على رسوماتي قائلًا: "تحفة!"
ويطقطق بلسانه متحمسًا بينما يتفقَّد تحفتي الفنية الزرقاء ويقيِّمها.
ثم يخبرني أنه لن يغتسل من الآن فصاعدًا إلى أن أكبر وأصير رسَّامة تاتو.
ولكني أترجَّاه حينها أن يغتسل وإلا صارت رائحته كريهة، وأخبره أنه ينبغي عليّ ممارسة الرسم كثيرًا لأتمكَّن من إتقانه.
ولذلك: "فأنا بحاجة لأن يكون ساعدك نظيفًا ونضرًا كل أربعاء!"
يعدني "بِره" قائلًا: "حسنًا، اتفقنا يا بينِه" وهو يلعب في شعري وينعكشه.

تقول ماما أنني واقعة في حب "بِره" بعض الشيء، ولكن هذا كلام فارغ.
حسنًا، ربما أحبه قليلًا، ولكني بالتأكيد لا أريد أن أقبِّله مثلما تقبِّل ماما بابا تلك القبلة العميقة وهي مغمضة العينين... يا له من شيء مقزز!
ربما يكون حبي له أشبه بحب زميلتي شيرين لـ "چاستن بيبر".

لقد علَّقت شيرين بوسترات چاستن بيبر على جدران غرفتها وفوق سريرها. وتظل جالسة أمام صوره تتملَّى في لطفه وجماله وتنظر إليه بإعجاب.

وأنا مثلي مثلها، أرى أن "بِره" شخص لطيف ولذيذ وأنظر إليه بإعجاب أيضًا، فهو يعزف الجيتار في فرقة ماما ويسمح لي بتناول الجيلي كولا معه. هذا بالإضافة إلى أن رائحته جميلة، حيث تفوح منه رائحة زيت اللافندر، وأنه لديه رسومات تاتو حقيقية. ورغم ذلك يقول لي أنه ترك أحد ساعديه خاليًا من الرسومات خصيصًا من أجلي وأن لديّ الموهبة لأصبح فنانة عالمية. وأحيانًا يقوم "بِره" بتمرير أصابعه من خلال شعري، مثلما يفعل الآن. فأحمَّر خجلًا لأنه شعور جيد فحسب.

يعيش "بِره" مع صديقته "ليندا" وابنه "يان" على بعد شارعين من المقهى.
أذهب لزيارتهم أحيانًا، فنطبخ معًا مكرونة سباجيتي بالصوص الأحمر أو نلعب بشخصيات الأراجوز الخاصة بـ "يان"، أو نذهب في بعض الأحيان للتخييم عند النهر ونشعل النيران ونشوي عليها التفاح.
أتطلَّع لقدوم "بِره" كل أربعاء لأقدم له مشروب النعناع وليعطيني ذراعه لأزخرفه له بالرسومات.
مثلما حدث اليوم ويحدث الآن.
سألته: "أتعرف ما هذا؟".
ورددت قائلة: "إنها سمكة أعماق البحار."
ومرَّرت إصبعي على الحدود الخارجية للسمكة التي رسمتها على جلده.
"هذا ذيلها وتلك زعانفها. وهذه هي رأسها."
فرد عليّ قائلًا: "آه، فعلًا."
ولكني لاحظت أنه لم يكن منتبهًا إلى الرسمة بالمرة.
بل كان يشرب عصير معجون الأسنان ببطء وهو تائه في أفكاره وينظر في اتجاه الباب.

سمعت شيئًا يرن داخل سترته.
أخذ يتحسس مكان تليفونه وقال لي: "أستأذنكِ لحظة!"
وذهب.

رأيته من النافذة وهو يسير في الشارع ذهابًا ومجيئة واضعًا تليفونه على أذنه.

تلك المكالمة كانت من المستشفى، ولكني لم أكن أعلم ذلك بالطبع.
ولم أكن أعلم أيضًا أن "يان" يعاني من مشكلة ما في القلب، وأنني لن أرى بِره لفترة طويلة.

ففي تلك اللحظة لم تكن لديّ أدنى فكرة عن كل ذلك.
ورغم ذلك، ينبغي أن أخبركم بكل هذا، لأوضِّح لكم ما حدث مع فيليب.
فبمرض "يان" بدأ كل شيء.

٢

يقول لي بابا أنه تعرَّف على ماما في البحر.
لأنه كان يعمل طاهيًا على إحدى السفن. ولكنّه يحكي لي قصة لقائهما الأول في كل مرة بشكل مختلف.
هكذا حكى لي بابا اليوم، الأحد، قصة أول لقاء جمعهما:
كان يا مكان طاهي شاب وسيم اسمه يوناس موتس (هذا بابا)، وكان هذا الشاب يجوب البحار السبعة في قاربه القديم.
وذات ليلة، وبينما كان يبحر في المياه المفتوحة، هبَّت على مركبه عاصفة شديدة. هاجت الأمواج عاليًا كناطحات السحاب وحطَّمت المركب وسحبته إلى أعماق البحار، وكان يوناس على وشك أن يغرق.
وفجأة، رآها: "عروسة بحر اسمها "سفِنيا أولافسون"، شعرها أصفر طويل وقوامها جذاب."
"يوناس!"، قالتها أمي بنبرة محذرة ونظرت إليه باستنكار.
سألها أبي والبراءة في عينيه: "ما الأمر؟".
فابتسمت ماما ابتسامة عريضة وواصل أبي الحديث قائلًا: "جاءت عروسة البحر الجميلة الجذابة وأنقذت الشاب الوسيم."
وعروس البحر تلك هي ماما.
أحب "يوناس" و"سفِنيا أولافسون" بعضهما البعض حبًا أبديًا.
استقرَّت سفِنيا على الشاطئ وقررت منذ ذلك الحين أن تتحوَّل إلى بشر.
استطرد بابا قائلًا: "هذا ممكن. يمكن لعروسة البحر أن تفعل ذلك. تقوم بخلع ذيلها فيصبح لديها سيقان، وليست أية سيقان، بل سيقان طويلة وجميلة.
أصدر بابا صوتًا يشبه صوت القطة ورمق أمي بنظرة إعجاب، ثم أخبرني أن سفِنيا ويوناس كانا مولعان ببعضهما البعض ولذلك جمعتهما لحظات مليئة بالإثارة والجموح...
"بابا!" أغلقت عيني ووضعت يدي على أذني وقلت له: "ألن تكف عن ذلك؟".
قامت ماما بقرص أبي قرصة خفيفة في جانبه، فابتسم ابتسامة عريضة وصب لنفسه كوبًا آخر من القهوة.
وقررت ماما أن تكمل هي حكي القصة.
تنفَّست الصعداء وشكرت ماما على هذا القرار.
لا يستطيع أبي أن يكمل القصة دون الاستعانة بتشبيهات لا تتناسب مع من هم دون الثالثة عشر.
لذلك قرَّرت ماما أن تكمل القصة: سافرنا عبر الدنمارك وبولندا حتى وصلنا إلى البحر الأسود. وهناك أصبحت حاملًا. ولم يمر وقت طويل حتى توفيت عمتي "إيلفي". ورثت بيتها وانتقلنا بالتالي للعيش هنا. ثم جئتِ أنتِ يا "بينه" في ليلة ممطرة من ليالي نوفمبر.
وفي هذه اللحظة نظرت ماما تلك النظرة الحالمة التي ترتسم على وجهها دومًا كلما تذكَّرت تلك الأحداث.
وخاطبتني قائلة: "جنيتي الصغيرة"، وملَّست بيديها على وجهي. ثم قضمت قضمة من سندوتش إفطارها وأخذت تمضغها ببطء وتأثُّر.
لديّ بالفعل أذنين مدببتين بعض الشيء، ربما تشبه أذني الجنية.
ولكن، حين تشبهني أمي بالجنية الصغيرة، فإنها تعني بذلك عيد ميلادي.
فأنا مولودة يوم الكرنفال ١١/١١؛ ورقم ١١ يُنطَق "إلف" بالألمانية وكذلك تُسمَّى "الجنية". ورغم أنني لم أولد الساعة ١١ و١١ دقيقة، ولكن يُفتَرَض أن ولادتي استمرت ١١ ساعة، أو هذا على الأقل ما تقوله لي ماما عندما تروي لي قصة ولادتي:
"لازلت أتذكَّر كيف كان المطر ينهمر على سطح البيت"، "وكنتُ حينها قد تركت النافذة مفتوحة لأنني كنتُ أشعر بالحر الشديد.
فجاءتني جارتي ووأعدت لي سندوتش سجق في الساعة الرابعة صباحًا، أتتذكَّر ذلك يا "يوناس"؟"
كاد بابا أن يختنق بفتات الخبز من الضحك.
"فجأة وجدتها تقف أمامي على الباب حاملة طبق في يدها. وفي هذه اللحظة بالتحديد وُلِدتي أنتِ يا "بينه"."
"فعلًا!" في هذه اللحظة جئتُ أنا إلى الدنيا.
أنا، "بينه زابينه موتس"، ابنة عروس البحر وملك الأكاذيب.

٣

نسكن في بيت اسمه "إجوانة".

لو كنتَ قادمًا من ميدان النافورة، انعطف في حارة الطاحونة لتجده ثاني منزل على اليسار، مبنى أخضر أمامه بضعة كراسي وترابيزات بشماسٍ. وهناك لافتة معلَّقة فوق المدخل مكتوب عليها "إجوانة" بالأحرف الكبيرة الملونة.
تجد المقهى في الدور الأرضي وأنا أسكن هناك بالأعلى، في الدور الأول. هذا الشباك الصغير هناك هو شباك غرفتي.
أعيش فيما يُسمى بـ "كهف بينه زابينه الخصوصي للفن والتفاهات".
يعيش في هذا الكهف القطة الضاحكة "أولّا" ذات الخطوط الزرقاء والبنفسجية، وكذلك عنكبوتي الأليف "نيوموك" وصغاره المرحين، وأخيرًا وليس آخرًا، أنا، "بينه".
أعيش هنا بين أقلامي الفلوماستر المرتبة بعناية ومسوداتي وعرائس الباربي خاصتي المزخرفة بالقلم الجاف وورق المناديل المشخبط والمناثر على الأرضية في كل مكان وبين البليّ الزجاجي والكتب ومجلات التاتو والطبلة وغيرها من الكراكيب الضرورية للحياة.
"هل جُنِنتِ؟ ما هذه الفوضى؟"
حسنًا، ربما أكون فوضوية قليلًا. هذا وارد.
ولكن، لِمَ يبالغون في رد فعلهما لهذه الدرجة؟
فأنا أولًا وأخيرًا فنانة.
ولكن هيهات!
بابا وماما لا يعرفان الرحمة في هذه المسألة.
حين يقولون لي "غدًا يوم التنظيف. وهذا قرار نهائي!"، لا أجد أمامي إلا أن أتأفف عن عمد وأريهم أسوأ تكشيرة عندي. ولكني أعرف تمامًا أنهما لن يتأثران بذلك. ولذلك أشغل نفسي في التذمر والشكوى وتأليف الشتائم الجديدة والجريئة بينما أرتب غرفتي، فهو أمر ممتع. فأقول على سبيل المثال: "زريبة خنازير... جريمة شنعاء... قذارة مثيرة للاشمئزاز"، بينما أرزع أبواب الدواليب وأرمي الكتب على الأرفف وأهدد وأتوعد بغضب.

وعندما تعود الغرفة إلى سابق عهدها، نظيفة ومملة إلى حد الكآبة، يصعد بابا بمشروب الموز باللبن والقرفة واللوز المبشور ليكافئني به. فهو يحب أن يدلل الآخرين بما لديه من مواهب في الطهي وذلك خطرت له فكرة أن يحوِّل غرفة المعيشة في الدور الأرضي إلى مطعم صغير.
"كافيه إجوانة".
أما الاسم، فهو من اختيار ماما.
فهذا هو اسم السفينة التي كان بابا يعمل طاهيًا على متنها، تلك السفينة التي شهدت لقائهما الأول. ولذلك فهو اسم يجلب الحظ، على حد قول ماما.
لا يمكنني أن أتصوَّر بيتًا أجمل من هذا البيت في أي مكان بالعالم.

الجلوس بعد الظهر بالأسفل مع بابا في المطبخ أو مع "يوكِّل" على مائدته بالقرب من الشباك، وشرب الكاكاو الساخن والشعور بدفء الشوكولاتة في بطني، ورائحة القهوة الطازجة، ومشاهدة الزبائن وهم يأتون ويرحلون، والإنصات إلى صوت الرنين الخافت الذي تصدره الملاعق حين يقلب بها الزبائن مشروباتهم، والتيراميسو الذي يعده بابا، وهمهمة الناس من حولي - أعشق كل هذا!
أو عندما يبقى الجميع جالسًا يتجاذبون أطراف الحديث حتى بعد انتهاء بروفة فرقة ماما.
ثم يعد لنا بابا بعدها وليمة عشاء ساحرة.
تساعده السيدة "ألموت" في الطهي.
ويساعده "يوكِّل" في شراء المستلزمات.

يمكننا اعتبار يوكِّل فردًا من أفراد العائلة.
يأتي عادة ونحن لا نزال نتناول الفطور.
كان يطرق على الباب ويقول: "أنا وصلت، وعندي وقت!"
فهو يحب القوافي.
وكان أبي يكتب له ورقة بالطلبات ويعطيه النقود.
فأناديه قائلة: "انتظر!"، وأرتدي حذائي وسترتي بمنتهى السرعة وألتقط حقيبة المدرسة.
ونتمشى معًا لبعض الوقت.
لأن مدرستي تقع بجوار السوق أو ربما يقع السوق بجوار المدرسة. على حسب.

كان "يوكِّل" يحاول أن يحفظ الطلبات المكتوبة في الورقة: "كوسة وجزر وبطاطس وذرة صفراء وكينوا وكريمة مخفوقة".
"أظن أن "يوناس" سيُعدّ لنا اليوم طاجن الكينوا الشهير".

ودعك بطنه وكأنه لا يطيق الانتظار حتى يتناوله. ثم حمل عني حقيبة المدرسة.
وسألني عن مدرستي قائلًا: "ما أخبارك يا "بينه"؟ احكي لي! كيف حالكِ حبيبتي؟ كيف الأحوال في المدرسة؟"

المدرسة.

ركلت الزلط بحذائي.
فالحديث عن المدرسة ليس من أشيائي المفضلة.
لا بأس بالمدرسة، ولكن، لو كان بإمكاني الاختيار، لقضيت فترة الصباح بشكل مختلف تمامًا؛ كنتُ سأرسم قلعة مخيفة مثلًا أو أعزف على طبلة ماما وأحدث ضوضاء أو أتسابق مع القطة الضاحكة "أولّا" في الكسل، أو أذهب إلى "بِره" وأرن على جرس باب عمارته لأسأله ما إن كان يسمح لي بالصعود إليه ليعزف لي الأغاني على جيتاره. أو كنتُ سأقضي الصباح في قراءة كتبًا هامة من الأدب العالمي، مثل قصة بطوط. أو أجلس في كافيه "إجوانة" أشرب الشاي الروسي مع السيدة "ألموت" وأدعها تفتح لي الكوتشينة.
كانت ستخبرني حينها بنبرتها المهزوزة التي تشبه تجاعيد أصابعها الرفيعة وعيونها السوداء الكبيرة وأحمر شفاهها البنفسجي الزاهي:
"زابينه"، "هناك اضطرابات في الطريق إليكِ".
تفوح من السيدة ألموت رائحة السجائر ولبان النعناع وأذنيها مرشَّقتين بحلقان فضية برأَقة.
إنها سيدة مسنة.
وليس لديها الكثير لتفعله.
تقول لي: "كنتُ في الماضي ساحرة"، وتدَّعي بالتالي أن لديها قدرات سحرية.
وعندما تقول "في الماضي" فإنها تعني بذلك "في حياة أخرى".
فالسيدة "ألموت" عاشت سبع مرات. هذا ما أخبرتها به الكوتشينه.
"الكوتشينة تحكي لكِ عن المستقبل وعن الماضي أيضًا، عليكِ فقط أن تعرفي كيف تقرأيها!"
يقول بابا: "السيدة ألموت إنسانة مميزة."
ولكني أحب الاستماع إليها.
مثلما قالت لي مؤخرًا:
"زابينه، زابينه، أنتِ على مشارف أوقات عصيبة، لقد جن جنون الإلهة فورتونا، أترين ذلك هنا؟"
وأشارت "ألموت" إلى إحدى أوراق الكوتشينة. "ستتحسن الأمور بالنسبة للبعض، وستسوء للبعض الآخر و... ما هذا، إنه الناسك! أمامكِ سكة سفر. ولكنها لن يكون سفرًا عاديًا، بل رحلة بحث عن شيء ما. أو شخص ما. عما وراء هذا العالم. و..."
ثم حدَّقت إليّ وكأنني أعلم ما تتحدَّث عنه.
"وأرى أمامي صديقًا."
"ربما يكون "بِره"؟".
فهمست قائلة: "ربما"، وأمالت رأسها.
"وربما لا"، "أو كلاهما".

لو لم تكن هناك مدرسة لكنتُ جلستُ مع السيدة ألموت وهي تفتح لي الكوتشينة وتضحك ضحكتها المكتومة وتشرب شايها شفطة تلو الأخرى.
وسيكون "يوكِّل" قد عاد من السوق وانضم إلينا. وربما يكون قد رأى شيئًا مضحكًا فيحكيه لنا وهو يشرب الكابتشينو ببطء ويلعب مع السيدة "ألموت" دور طاولة.

سحبت الباب الزجاجي الثقيل وأنا أفكِّر: سيكون هذا بالتأكيد أفضل ألف مرة من المدرسة.